

# إسهامات تجار مكة المكرمة في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر ميلادي

باحثة دكتوراه في التاريخ الحديث  
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ. ليلي عبد اللطيف مثبت القريري

## المستخلص:

كان لمكة أهمية خاصة في الحياة التجارية خلال العصر العثماني ، ومما جعل الحركة التجارية مزدهرة بها خلال القرن الثاني عشر هو ازدهار حركة التجارة الخارجية عبرها، كما أن فرضتها الرئيسة -أي ميناء جدة- كانت فيه السفن المحملة بالبن اليمني وكانت تصل إلى الميناء في أي وقت من العام، ولا تقتصر على موسم محدد. وعلى جانب أهمية مكة في التجارة الداخلية فخلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي شكلت مواسم الحج والعمرة رواجاً تجارياً عظيماً في هذه الأراضي المقدسة من حيث كثرة البيع والشراء. فالتجار يفتدون إلى بلاد الحجاز من أرجاء العالم الإسلامي للحج والتجارة معاً، ومثلت تجارة الحج هذه أهمية كبيرة في حياة أسواق الحجاز، التي كانت تعتمد على السلع التي يحملها الحجاج معهم إلى الحجاز. ونتيجة لذلك استطاع تجار مكة تكوين ثروة هائلة بفضل التجارة ، ومن خلالها تمكنوا من الإسهام في المجال الحضاري بالبلد لحرام عبر سبل متعددة، وهذا البحث سوف يهتم بدراسة « إسهامات تجار مكة المكرمة في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي - التحليلي ، لما لهذا المنهج من مزايا في دراسة الموضوع ، إيماناً بأن الدراسة لا تقتصر على سرد حدث تاريخي ووقائع فقط، بل حاولت مناقشة عدد من الأفكار والآراء وتحليل أسبابها بغية الوصول إلى استخلاص النتائج وما تركته من آثار ، وذلك لرسم صورة واضحة المعالم للأحداث التاريخية. وقد اقتضت طبيعة المادة العلمية التي تتناول موضوع إسهامات تجار مكة المكرمة في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن 12هـ/18م» تقسيم البحث إلى مبحثين هما : المبحث الأول: العوامل التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية ، وقد درس العوامل السياسية والاقتصادية ، وكذلك العوامل الفكرية والاجتماعية. بينما جاء المبحث الثاني بعنوان : الإسهامات العلمية للتجار وفيه تم بحث مسألة التأليف وإلقاء الدروس العلمية وكذلك المنشآت التعليمية [كتاتيب ، مدارس ، مكتبات ، أربطة]. الكلمات المفتاحية : التعليم ، تجار مكة المكرمة ، الكتاتيب ، المدارس.

## Makkah traders contributions to the scientific and cultural movement during the 12th AH/18th AD century

A.Layla Abdulltif Muthbet Alquraqri

### Abstract:

During Ottoman-era, Makkah was important in trade movement which flourished during the twelfth century due to foreign movement. In Jeddah port, ships, loaded with Yemeni coffee, arrived at any time.

For internal trade during 12<sup>th</sup> AH/18<sup>th</sup> AD century, Hajj and Umrah seasons constituted prosperity regarding sales and purchases. Traders come for Hajj and trade benefiting Hijaz markets relying on goods carried by pilgrims. Thus, Makkah traders created wealth and contributed to cultural field. This research discusses “Makkah traders contributions to scientific and cultural movement during 12<sup>th</sup> AH/18<sup>th</sup> AD century”. The study adopted historical-analytical research approach with topic studying advantages as the study is not limited to narrating historical events and facts, but discussed ideas and opinions and analyze their causes for conclusions and implications painting a clear historical picture. Scientific material nature, concerning Makkah traders contributions to the scientific and cultural movement during the 12<sup>th</sup> AH/18<sup>th</sup> AD century, necessitated dividing the research into two sections: First: Factors that helped traders contribute to the scientific cultural movement discussing political and economic factors and intellectual and social factors. Second: Traders scientific contributions discussing authorship and scientific lessons delivery and educational establishments [brochures, schools, libraries, links].

**Keywords:** Education, Makkah Traders, Brochures, Schools

### المقدمة :

انضم إقليم الحجاز بطريقة سلمية إلى الحكم العثماني عقب انتصار السلطان<sup>(1)</sup> العثماني سليم الأول<sup>(2)</sup> ( 918 - 926هـ / 1512 - 1520م ) على المماليك في معركتي مرج دابق في الشام عام 922هـ / 1516م، والريديانية على أبواب القاهرة في مصر في عام 923هـ / 1517م، وقضائهم على الدولة المملوكية نهائياً<sup>(3)</sup>، ويعود ذلك لعدة عوامل وظروف، بعضها محلية خاصة بإقليم الحجاز، وإقليمية خاصة بالكيانات، والأقاليم السياسية المجاورة للحجاز، وثالثة تعود للدولة العثمانية ذاتها، وصراعها الخارجية مع الدولة الصفوية في فارس، أو مع الغرب الأوروبي متمثلاً في البرتغال في البحار الجنوبية، ومنها البحر الأحمر<sup>(4)</sup>. وقد كان أمير مكة المكرمة - آنذاك - هو الشريف بركات بن محمد ( 903 - 931هـ / 1497 - 1525م)، خاضعاً لسلطة المماليك في مصر، وبسقوطها رأى أنه يتوجب عليه الدخول تحت سيادة العثمانيين سلمياً؛ لعدة أسباب منها: حاجة الشريف بركات وإقليم الحجاز لحليف سياسي وعسكري قادرٍ على رد خطر البرتغاليين عن الإقليم، بعد أن تعرض الإقليم لخطر برتغالي كبير على امتداد الربع الأول من القرن ( العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي)، كما أن الشريف بركات أراد الاستفادة من المساعدات المالية والعينية التي خصصتها الدولة العثمانية لإقليم الحجاز خاصة<sup>(5)</sup>، والتي كانت تشكل عوناً كبيراً لأهالي الحجاز الذين كانوا يعتمدون كثيراً على وصولها بمن فيهم حكام الإقليم؛ نظراً للفقر الذي كان يعاني منه إقليم الحجاز، وقد كان وصول تلك المساعدات مرتبطاً باعتراف أمير مكة المكرمة بتبعية الدولة العثمانية، أما السبب الثالث للدخول تحت السلطة

العثمانية فهو رغبة أمير مكة المكرمة الشريف بركات<sup>(6)</sup>، في تقوية مركزه في الإقليم ضد خصومه من الأشراف، والذين كانوا يسعون إلى إزاحته والاستئثار بالحكم، خاصة وأن الإقليم كانت تعمه الفوضى السياسية، وكثرة أحداث تعيين الشريف، وخلعه لأكثر من مرة؛ حتى إن الشريف بركات نفسه قد حكم إمارة مكة المكرمة عدداً من المرات؛ ولهذا أراد أن يحظى بدعم السلطان العثماني سليم، والدولة العثمانية ومساندته ضد خصومه؛ لتثبيت سلطته في إقليم الحجاز، وهو ما حدث فعلاً، فبعد أن أرسل الشريف بركات ابنه الشريف محمد أبا نهي<sup>(7)</sup> إلى السلطان العثماني سليم الأول في القاهرة عقب انتصاره في معركة الريدانية، قام السلطان العثماني بتثبيت الشريف بركات في إمارة مكة المكرمة، وحكم الحجاز، وجعل ولاية العهد لابنه الشريف محمد ابنا نهي، وأصدر بذلك فرمان سلطاني<sup>(8)</sup>. وقد أبقت الدولة العثمانية الأوضاع الإدارية في إقليم الحجاز على ما هي عليه في العهد المملوكي، واكتفت فقط بالسلطة الاسمية عليه؛ مما أدى إلى استمرار الاضطرابات السياسية في الحجاز منذ ذلك الوقت وطوال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، فكان الإقليم عبارة عن حلقات صراع بين الأشراف من أجل السيطرة على منصب الشرافة وكان الصراع في ذلك الوقت محتدماً بين أشراف بنو زيد<sup>(9)</sup> وبنو بركات<sup>(10)</sup>، ويعود ذلك لسياسة العثمانيين تجاه هذا الإقليم، والقائمة على عدم التدخل في اختيار الشريف مكة، بل تركت اختياره للأشراف أنفسهم<sup>(11)</sup>.

### **أولاً : العوامل التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية : العوامل السياسية والاقتصادية :**

بدخول الحجاز تحت الحكم العثماني في مصر السلطان سليم الأول سنة 923هـ / 1577م، حظيت مكة المكرمة باهتمام كبير من السلاطين العثمانيين نظراً لكونها أقدس بقاع الأرض<sup>(12)</sup>. وتمثل هذا الاهتمام بالامتيازات التي أعطيت لبلاد الحرمين ومن أهمها الصرة الهمايونية<sup>(13)</sup>، بالإضافة للأوقاف<sup>(14)</sup> التي أوقفها السلاطين العثمانيون للصرف على الأوقاف المختلفة في مكة المكرمة والحجاز عامة مثل حلقات العلم والكتاتيب والمدارس وكذلك الصرف على الفقراء من سكان الحجاز، وحرص العثمانيون على سد احتياجات مكة المكرمة، وجعلها من الأقاليم المهمة التي يتولون الإشراف عليها، نتيجة للأهمية الدينية التي تتمتع بها الحرمين<sup>(15)</sup>. وكانت هذه العوامل السياسية والاقتصادية متجهة لتجار مكة حتى يسهموا في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

فطوال العصر العثماني الأول كانت الهجرة مستمرة إلى مكة المكرمة، حيث بدأت آفاق الإسلام تجد طريقها ميسوراً إلى مكة أكثر من ذي قبل، فكثرت المجاورون وتنوعت أصنافهم، فكان منهم المتقطعون للعبادة والزهد، ومنهم الراغبون في البطالة، والخلود إلى ظلال التكايا<sup>(16)</sup>، ومنهم العاملون الذين أغراهم الكسب في بلد مفتوح، ومنهم العلماء الذين طاب لهم أن يجاوروا بيت الله الحرام، ونشروا علومهم في أرجائه؛ وكان من بين هؤلاء العلماء من عمل بالتجارة وعمد إلى ترك بصمات ملحوظة على الجانب العلمي والثقافي.

على سبيل المثال<sup>(17)</sup> ومما يلاحظ أن العثمانيين كانوا يتولون مناصب القضاء والحسبة في مكة أولاً، ثم في فترة لاحقة بحوالي القرن الثاني عشر الهجري / الثالث عشر الميلادي، أخذت ترابط قوة عثمانية في المدينة المقدسة، وكانت المرابطة في السابق في جدة، غير أنه بمرور الزمن شملت شؤون البريد، ونظارة السوق، وأعمال الأوقاف وغيرها<sup>(18)</sup>، ومن الراجح أن عدد سكان مكة في القرن الثاني عشر الهجري قد ازداد

نتيجة الأمر الذي دفع بالتجار الأتراك في مكة إلى الإسهام في المجال العلمي والثقافي لخدمة أبنائهم وابتغاء أجر نشر العلم في هذه البقعة المباركة<sup>(19)</sup>. وبشكل غير مباشر يقدم لنا السويسري (بوركهارت) الذي زار مكة- بعد نهاية العصر العثماني الأول- التقسيمات التي كان عليها سكان مكة وبالتالي تقسيمات الاهتمام بالمجال الثقافي من قبل تجار هذه الفئات فيقول: «... إن كل سكان مكة غرباء أو نسل غرباء خلا قلة من بدو الحجاز أو سلالتهم المستقرين هنا...» ففي موسم كل حج يتخلف بعض الحجاج، والمسلم إذا ما استقر في أي مكان لأي فترة زمنية اتخذ زوجه، وغالبًا ما يدفعه ذلك إلى الاستقرار الدائم، وعلى هذا فمعظم أهل مكة منحدرين من أصلاب غرباء، أتوا من مناطق بعيدة من مختلف أنحاء المعمورة، وأكثر هؤلاء الغرباء هم الذين قدم أبائهم من اليمن وحضرموت، يليهم الهنود فالمصريون فالسوريون فالمغاربة فالأتراك. وهناك أيضًا مكيون عن أصول فارسية ونثرية وبخارية وكردية وأفغانية، وباختصار فإن في مكة عناصر من مختلف أنحاء العالم الإسلامي...»<sup>(20)</sup>.

فقد كان ارتحال المسلمون من بقاع الأرض إلى مكة المكرمة كان غرضه الأساس الحج وطلب العلم، ولكن كانت هناك دوافع اقتصادية هامشية استفاد منها البعض في إطار الجانب العلمي. حيث عقد بعض التجار والحجاج العزم على البقاء بمكة المكرمة للبقاء أبدياً أو قضاء فترة للتجارة أو للتعلم ومن ثم العودة للوطن الأم، وقد أدى ذلك إلى قيام جالية كبرى وافدة لكل أمة في مكة المكرمة قوامها الذين أثروا البقاء بحثاً عن مصدر رزق أفضل، أو نهل العلم الذي لا ينضب له معين بالحرم المكي وقد اعتمد أفراد الجالية الوافدة في معاشهم على عائدات الخدمات التي كانوا يقدمونها إلى ضيوف الرحمن، القادمين من أطراف العالم الإسلامي المختلفة، وذلك من خلال عملهم في المجال التجاري مع أصحاب رؤوس الأموال من التجار المكيين الذين كانوا ينعنونهم بالإخلاص والاستقامة في السلوك، وبجانب ذلك كانوا يقومون بأعمال تجارية صغرى<sup>(21)</sup>، ولاشك أن عائدات هذه الخدمات التجارية كانت تدر على المحترفين منهم عطاء مجزياً<sup>(22)</sup>.

كان القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، هو العهد الذي كثرت فيه الهجرة إلى المدينة المقدسة ظاهرها دافع التجارة والكسب، وإذ نظرنا إلى أوضاع العالم الإسلامي في تلك الفترة لرأينا أن كل أقطار العالم الإسلامي كانت تعيش تحت نير الاستعمار، فنجد الهولنديين في إندونيسيا والإنجليز في ماليزيا وبلاد القوقاز، وكان من نتيجة ذلك أن حيث هذه الشعبة لمقاومة المستعمر، فكانت الثورات التي قضى عليها المستعمرون بكل قسوة ووحشية، وكان من جراء ذلك تضيق الخناق على السكان، ومصادرة ممتلكاتهم، والزج منهم في السجون، وقد يصل الأمر إلى مستوى طردهم من بلادهم<sup>23</sup>.

«إن هذا كان من الدوافع القوية (من الناحية السياسية والاقتصادية) الطاردة لهؤلاء من بلادهم والمشجعة لهم على الهجرة من بلادهم، ولذا يمكننا تصور أن الهجرات التي تمت إلى مكة من الخارج كانت هجرات قسرية فرضت على الكثيرين، وأمليت عليهم إملاءً، فليس لهم الخيار في ذلك، وعلى البعض من ذلك أسباب جاذبة تتعلق بالهجرة والوصول إلى مكة المكرمة، أو هي أن مكة بلدًا مفتوحًا للنشاط التجاري، والكسب المادي .

كان هناك أسباب أخرى رئيسية تتعلق بالهجرة إلى مكة وليس الكسب والتجارة فقط، نلمسها في الإجراء الروحية التي تضيفها المقدسة على ساكنيها، بالإضافة إلى ما لهذه المدينة من قدسية احترام في نفوس

المسلمين جميعًا جعلت الأفتدة تهفوا إليها دائمًا، يضاف إلى ذلك الإجراء العلمية، وخاصة ما يتعلق منها بالعلوم الشرقية والغربية، التي كانت متوافرة طوال عهود التاريخ في أروقة الحرم وجنابته ويمكن ترتيب العوامل التي أسهمت في الهجرة إلى مكة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي كالتالي :

- الانقطاع للعبادة والزهد والعيش بجوار بيت الله العتيق

— طلب العلم، والتفقه في العلوم الشرعية والعربية، والاستعادة من حلقات العلم التي تعقد في الحرم المكي الشريف.

— الاستفادة من الجانب الاقتصادي بمكة من شتى جوانبه والبحث عن مجال تجاري يعينهم العيش بشكل ميسور.

وكان لتجار الحج -أي المرافقين لقوافل الحجيج أو المنتظرين والمستقبلين للموسم في مكة وبلاد الحجاز- دور كبير في تنشيط الحياة الاقتصادية بمكة المكرمة ، بحيث أن قوافل الحج في نفس الوقت كانت قافلة تجارية، لأن الحجاج الأفارقة والمغاربة... وغيرهم كان بينهم تجار يحملون معم سلع وبضائع، لبيعوها أثناء مرورهم عبر الدروب والمسالك والبلدان<sup>(24)</sup> ، وفي موانئ ومدن الحجاز وفي طريق عودتهم ، كان التجار يحملون معهم السلع المشرقية المختلفة، من حجازية وهندية وشامية ومصرية لبيعوها في الموسم بمكة ومنها تحمل لباقي الأقطار، وبالتالي أضحى التجارة في مواسم الحج ضرورة من ضرورات الحاج والمسافر ، خاصة إنه لايد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة ؛ لأن الرحلة قد تتجاوز المدة المحددة لها<sup>(25)</sup> . وهكذا كانت مكة المكرمة بسبب العوامل الاقتصادية والسياسية المذكورة، تعج في أوقات معلومة كل سنة بالعدد الكبير من الناس من مختلف البلاد ، كما تمتلئ بالعدد الكبير من دواب الحمل والإبل ، و تمتلئ خانات مكة وجدة بالمتاجر من كل صنف فتروج الحركة التجارية ، كان تجار مكة ينتظرون هذا الموسم بفارغ الصبر لأنه سبب نشاط أسواقهم التي ذاع صيتها في الأفاق<sup>(26)</sup>.

وعلاوة على ذلك، كان هناك طائفة صغار التجار والحرفيين (حيث حُسبت على طائفة التجار بمكة)، استفادت اقتصاديا. حيث قاموا بتقديم خدمات الحجيج مثل طائفة المقومين التي تعهدت بنقل الحجاج بين جنبات مكة ، وطائفة الجمالين التي أمنت الجمال لنقلهم، وطائفة المحايرية التي أعدت المحارات وهي مقاعد خشبية تثبت على ظهر الجمل لنقلهم، وطائفة العكامة التي قادت الجمال وقامت بخدمة الحجاج في سفرهم<sup>(27)</sup>.

كما كانت هناك أسباب اقتصادية لمن اشتغلوا بالتجارة «الوقتية» من بعض أبناء القبائل العربية بمكة المكرمة خلال القرن 12هـ/18م التي وجدت في موسم الحج فرصة هامة لعرض منتجاتها والتجارة فيها ، من أجل تعويض الركود الاقتصادي خارج موسم الحج<sup>(28)</sup> . ومن جهة أخرى استفاد تجار البلاد الأخرى من تجار مكة عن طريق شراء البضائع غير الموجودة ببلدانهم من تجار مكة<sup>(29)</sup> ، فأثناء عودتهم من أداء المناسك وانتهاء الموسم يبيع تجار مكة لتجار القوافل العائدة السلع المشرقية ، من حجازية وهندية وشامية ومصرية من أجل بيعها في بلدانهم ، وبذلك يحقق كل طرف ربحًا ملحوظًا<sup>(30)</sup>.

حيث كانت تأتي بضائع إلى مكة المكرمة من الحبشة والهند، وبلاد فارس، وكذا من سوريا وغيرها من الأقطار العربية ، فمن الهند تجلب كميات كبيرة من الجواهر، وكل أنواع البهارات وإن كان جانب من

البهارات يرد من أثيوبيا ، ومن البنغال وكميات كبيرة من الأقشمة القطنية والحريرية، بحيث شكلت مكة في ذات الوقت منطقة عبور للكثير من البضائع ، كالقطن والبهارات بكميات كبيرة والشمع والمواد العطرية<sup>(31)</sup>. كما كان تجار مكة يشترون من تجار العراق البضائع الحريرية والصوفية والرز والسمن البقري والغنم ، ثم يشتري الحجاج هذه البضائع من التجار المكيين<sup>(32)</sup>.

كما كان تجار مكة يحصلون على سلع وبضائع الشرق الأقصى عن طريق الحكام والنبلاء، والتجار في هذا الإقليم البعيد حيث يؤمنون للتجار المكيين وسائل السيطرة، على حركة التجارة ويقدمون لهم التسهيلات التجارية ويدافعون عن حقوقهم، ومصالحهم، ويصونون كرامتهم ويتبادلون معهم المنافع التجارية أو يقاسموهم عائدات التجارة<sup>(33)</sup> خاصة وقد استأثر هؤلاء المكيين منهم توريد البخور، واللبان، والصدف والودع والعنبر الشجري، وبالمقابل كانوا يصدرون إلى شرق آسيا سلع المنطقة المختلفة فهياً لهم ذلك الاحتفاظ بدورهم الريادي في التجارة البحرية<sup>(34)</sup>، وقد تلازم مع الجانب التجاري الاقتصادي الاهتمام بالارتقاء بالجانب العلمي، وكانت حصيلة هذا العمل الجليل من قبل المكيين أن برز من التجار الجاوة الذين فضلوا البقاء بمكة نفر من طلبة العلم الشرعي والعلماء ساهموا في تعميق ودراسة العلوم الإسلامية وقد وجدوا دعماً وسنداً من أخوتهم العلماء المكيون الذين وقعوا معهم بصدق في خدمة الدين الحنيف وتعليم الناس أسس ومبادئ وقيم هذا الدين حتى أصبح العمل الدعوى والتعليمي عملاً قائماً بذاته ولم يعد مرتبطاً بالتجارة<sup>(35)</sup> وأصبح أمر ارتحال تجار مكة المكرمة إلى الشرق الأقصى أو ارتحال تجار الشرق الأقصى وطلبة العلم والحجاج منه إلى مكة المكرمة أمراً رئيس، ومن هذا المنطلق ازدادت توثيق عرى الصلات العلمية للتجار بمكة المكرمة بفضل الجانب الاقتصادي<sup>(36)</sup>. ولعل التأثير السلبي للتجارة ببلاد الحرمين هو إهمال التجار للحياة العلمية إبان موسم الحج نتيجة تدفق التجارة التي دفعت بأهل مكة إلى انشغالهم بالتجارة وعدم تحصيل العلم إلى فترة انقضاء الحج، فقد حفظ لنا الرحالة أبو سالم العياشي هذه العادة التي تتم في كل سنة ، فقال: «... وأيام الموسم عند أهل الحرمين الشريفين فيها يجمعون غالب أمور معاشهم، فلا يتفرغ أحد لتدريس ولا عبادة ، إلا ما لا بد منه ، فإذا انقضت أيام الموسم وذهبت الركبان الواردة من الأفاق ولم يبق بالحرمين، إلا أهلها رجعوا إلى معتاد حالها في الأمور الدينية من القراءة والتدريس وأنواع العبادات والدينية...»<sup>(37)</sup>.

هكذا كانت العوامل الاقتصادية التي عادت على التجار المكيين بالمكسب المادي الجيد عاملاً لهم عليهم للإسهام في الحركة العلمية والثقافية بشكل أفاد أهل مكة، فقد شكلت ارباح التجارة وعوائدها مصدر دخل لهم ومورداً أساسياً في حياتهم الاقتصادية . مما جعلهم ميسورين وشجعهم ذلك للاتجاه للجانب الثقافي.

### العوامل الفكرية والاجتماعية :

من جانب آخر، تدفقت جموع من المسلمين لأداء فريضة الحج ملبية نداء خالقها جل جلاله، فحملت قوافل الحجيج كل عام علماء مارسوا التدريس والفتوى أثناء السير وخلال تحركهم داخل مكة المكرمة كان مهمتهم إلقاء الدروس لبيان المناسك، ووعظ التجار بتقوى الله<sup>(38)</sup>. وكانت الدولة العثمانية تساعد على جذب العلماء نظراً لعطاء الذين كانوا يخصصونه لرجال العلم، والاحترام الذي كان يقوي من مركزهم الاجتماعي وفي هذا العهد أثناء الرحالة إلى أن المسجد الحرام كان يمثل مكان الدراسة بالتالي لطلب

العلم<sup>(39)</sup>. حدد أماكن التدريس في أروقة المسجد الحرام المظلمة بالقباب، ونادراً ما كانت دروس العلم تلقى في غيرها<sup>(40)</sup>. ولعل تصدر الحرم المكي كقاعدة للحركة العلمية والحياة الثقافية، يعود إلى تصدر ابن العباس الذي اتخذ له موضعاً به يلقي فيه دروسه، وتلاه بعد ذلك تلاميذه<sup>(41)</sup>؛ فكان لوجود الحرم المكي أثره في ازدهار الحركة العلمية ورواجها، ففيه جلس العلماء للتدريس، وعنه حملت العلوم مرة أخرى إلى جميع الأقطار الإسلامية<sup>(42)</sup>. ولعل من العوامل الفكرية التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية هو وفرة الكتب والمكتبات في دفع عجلة الحركة العلمية قدماً، فقد زخرت كتب الرحالة المغاربة بالعديد من الإشارات الدالة على وجود مكتبات عامة وخاصة، حيث رأى الرحالة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، في المكتبات العامة كتباً لعلماء مكة المكرمة، والتي يبدو أن الرحالة كانوا على علم بها، ومؤلفيها الذين عمل نفر منهم بالتجارة إلى جانب إقباله على العلم<sup>(43)</sup>.

علاوة على العديد من الكتب في كل علم وفن التي وجدت بمكتبات الوقف داخل الحرم المكي<sup>(44)</sup>. أضف إلى ذلك المكتبات الخاصة، العلماء في مكة المكرمة سواء في منازلهم أو في أركان المسجد الحرام<sup>(45)</sup>، وكان من أصحاب هذه المكتبات من يسارع إلى إعارتها بالرغم من كونها من الكتب النادرة، وهو ما عاد بالنفع على الحركة الثقافية عامة<sup>(46)</sup>. ومما ساعد على رواج الحياة الثقافية في فترة الدراسة هو مشاركة التجار والعلماء الوافدون بكتبهم الخاصة والتي أحضروها معهم إلى مكة، وكان الحاملون للعلم من أهل التجار من حملة من حمل الكتب<sup>(47)</sup>. وللدلالة على العوامل التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية، هو واقع مكة نفسها التي كان بها جميع الكتب العلمية، فما من عالم صنف كتاباً بالمشرق أو السند، أو الهند، أو العراق، أو غيرها من الأقاليم إلا بصرف نسخة لمكة تبرّكاً ورجاء الإقبال على كتابه، أطلب ما شئت تجده موجوداً في كل فن من العلوم<sup>(48)</sup>.

كما ذكر العياشي عن كتب مكة «... أن هذه الكتب من النوادر التي قل ما توجد في غيرها من الأماكن...»<sup>(49)</sup>. ومن العوامل أيضاً هو احتراف بعض المكيين لتجارة الكتب وكذلك حرف النسخ والتجليد<sup>(50)</sup>، وكذلك ما أوقفه بعض الأثرياء من كتب على طلبة العلم، وإعارة من يملكها للراغبين في الاطلاع والمعرفة، كما خصصت أوقاف يذهب ريعها لدفع رواتب بعض المعلمين القائمين على التدريس<sup>(51)</sup>. ولما كانت الدولة العثمانية تخصص رواتب مجزية للعلماء المقيمين بمكة المكرمة، سواء من كان متولياً لمنصب ديني، أو قائماً على التدريس<sup>(52)</sup>؛ الأمر الذي ساعد كثيراً على تفرغهم للعلم والتدريس، وعدم شغل أنفسهم في طلب الرزق، كما تحملت بعض الدول الإسلامية الأخرى أو بعض أفرادها الأثرياء جانباً من هذه الأموال، والتي كانوا ينتدبون من يحملها إلى العلماء حملة معهم. ومن العوامل التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية بمكة إبان القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي مسألة تعدد المذاهب الإسلامية، وظهر ذلك جلياً في تعدد الأمة بالمسجد الحرام<sup>(53)</sup>، ومع أن الدولة العثمانية المهيمنة على الحجاز في تلك الفترة تبنت المذهب الحنفي، وبالتالي حظى بعنايتها، إلا أن ذلك التبني لم يؤثر كثيراً على غيره من المذاهب الأخرى<sup>(54)</sup>.

فقد ذكر الرافعي أنه استفتى عالماً في منى عن كيفية رمي الجمار فأفتاه على المذهب المالكي<sup>(55)</sup>. ومن ضمن العوامل التي أسهمت في الحركة العلمية والثقافية في العصر العثماني، توفر الأربطة والزوايا خلال

القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، وقد أحصى المؤرخون أسماء وأماكن وجودها في تلك الفترة<sup>(56)</sup>. ومن أهم العوامل التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية بمكة المكرمة، هو المزاجية بين الحج والتجارة عن ناحية والنشاط العلمي من ناحية ثانية. فإذا كان الحج بمثابة «مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي» فإنه في الوقت نفسه ليس أداء للفريضة، ولكنه تعلم وتعليم، وسياحة وإطلاع، وتجارة وكسب، ومشاركة في كثير من جوانب الحياة<sup>(57)</sup>.

كانت مكة عبارة عن معاهد مفتوحة أمام الحجاج، تفد عليها الكتب والمؤلفات، وتتبادل فيها الرسائل والإجازات، وما يحيط بركوب الحج من نشاط علمي يشمل رحلة القعود في مكة<sup>(58)</sup>. أضف لذلك تضاعف نشاط المجاورة خلال القرن 12هـ / 18م، ونجد ذلك كثيراً في تراجم بعض التجار كالتالي «... قدم مكة للحج والتجارة، وحاو بها لمدة سنة، فمات هناك ودفن بمقبرة المعلاة سنة 1140هـ / 1728م...»<sup>(59)</sup>، والناصر محمد بن أحمد الشريف الجزائري (ت 159هـ / 1746م) إذ كان كثير التنقل بين مكة والجزائر وأزمير التركية، وذهب خلال أسفاره تلك إلى الحجاز في آخر المطاف، حيث بقى مجاوراً بمكة فترة من الزمن<sup>(60)</sup>، والتاجر الحاج حسن الجزائري الذي مكث بالحرمين الشريفين لسنوات من أجل الإتجار، وصارت لها الشهرة في العلم بالجملة<sup>(61)</sup>.

حقيقة، لم يكن المجاورون بمكة المكرمة عالة على المقيمين بها او الوافدين عليها بل كان منهم تجار يساهمون في أعمال الخير والحملات التطوعية في الموسم<sup>(62)</sup>.

كما أن بيوت بعض التجار في مكة المكرمة صارت مجالس للعلماء والفقهاء، ومحط رحالهم، إليهم يأوون وعندهم ينزلون<sup>(63)</sup>. ومن الملاحظ أن العامل الثقافي مرتبط بالعامل الديني والتجاري، فمع أن مكة والذهاب إليها أولاً وقبل كل شيء مكاناً دينياً، إلا أنها تعتبر كذلك ملتقى ثقافياً إسلامياً، وكذلك سوقاً تجارياً إسلامياً، لعقد الصفقات التجارية، وكذلك لتلبية احتياجات أهل الموقف العظيم، ذلك المكان يجمع نخبة طيبة من العلماء، والتجار، فهناك جلسات العلم والأدب، وأسواق المال والتجارة<sup>(64)</sup>. وفي الجانب الاجتماعي نلاحظ أن الحج بدوره كان يتيح لأهل مكة -عامة وتجاراً- أن يطلعوا على أحوال الشعوب التي يأتي أبنائها لأداء الفريضة، فيرونهم في ملابسهم ومأكلاتهم، وفي عاداتهم وتقاليدهم، خصوصاً وأنهم يقومون مدة شهر تقريباً، فيعاشرونهم ليل نهار ويتباسطون معهم في الحديث والسمر، ويشهدون عن كتب ما يمارسه هؤلاء الحجاج من نشاط، وليس بوسع أهل مكة وتجارها إلا أن يتأثروا بما يرون<sup>(65)</sup>.

لما تقتصر العوامل الاجتماعية التي دفعت بالتجار للمشاركة في الجانب الثقافي في التعرف على عادات وتقاليده المجتمع الأخر، بل كانت هناك جوانب اجتماعية عملت عملاً كبيراً على إحداث الاستقرار الاجتماعي، للعديد من الأجناس والأعراف في مكة وبالتالي تقليد المجتمع المكي في طلب العلم ورعاية المجال العلمي والنهوض الثقافي<sup>(66)</sup>.

فقد كان معتاداً أن يستقر بعض التجار غير المكين لوضع سنوات بمكة بعد الحج نظراً لارتباطهم بها بروابط علمية وتجارية، مما ساعد على حدوث نوع من المخالطة والمصاهرة، هذا إلى أن كثيراً من أغنياء التجار الذين يفدون على مكة المكرمة في موسم الحج يحملون معهم كميات من السلع التجارية، فقد يضطرون في حالة عدم تمكنهم من تصفية حساباتهم إلى الانتظار سنة أخرى فيسكنون خلال ذلك حسب عادة

البلاذ، ثم لا يلبثون أن يتزوجوا، وينتهي الأمر بهم إلى تكوين أسر، مما يغيرهم بالاستقرار والتجارة والتعليم بمكة<sup>(67)</sup>. وهكذا كان كل موسم حج عاملاً من عوامل الاستقرار للعديد من الأجناس والأعراق بمكة المكرمة، وعامل من عوامل الاندفاع للمشاركة الثقافية رعاية لأولاده ونفسه وتجارته. ومن العوامل الاجتماعية أنه عاش بعض الوافدين في مكة المكرمة على الإعانات المالية أو ما أسماها سنوك «الحوالات النقدية التي وعدوا بها من أسرهم وأولياء أمورهم»<sup>(68)</sup> حيث كان بعض الموسرين المسلمين في البلاد المختلفة يرسلون أولادهم لتعلم العلوم الشرعية بمكة المكرمة على أن يوفرها لهم مبالغ مادية تضمن لهم معيشة كريمة، مما سبب زيادة الهجرة لمكة المكرمة، وفي ذلك يقول أحد شهود العيان: «... إن حديثي السن من أفراد الجاوي يسمعون من المواطنين العائدين من الديار المقدسة كيف أن الحياة مريحة في مكة المكرمة، وكيف يمكن للإنسان هناك أن يشتري حبشية جميلة أو أن يتزوج مصرية وكيف يمكن للإنسان في مكة المكرمة أن يحيا حياة مواطن حر مستقل بمئات قليلة من الجيلدرات»<sup>(69)</sup> (وحدة النقد الهولندي)، لهذا زاد عدد القادمين إلى مكة المكرمة من الشباب.....<sup>(70)</sup>، وبذلك يستطيع الطالب أن يجمع بين البقاء بمكة المكرمة والحج وطلب العلم، علاوة على العيش الأفضل بمكة المكرمة من الناحية الاقتصادية. وكل ذلك له انعكاسات ايجابية على الحركة الثقافية.

لذلك كله؛ كان لمكة وتجارها وتجارته خلال القرن 12هـ/18م دور في توثيق الصلات بين الشعوب الإسلامية، والعمل على الوحدة الثقافية والفكرية والتشريعية بين المسلمين خلال العصر العثماني، وذلك من خلال اللقاءات والحوارات، والأخذ والعطاء، في الطريق إلى الحج، أو العودة منه، وفي رحاب الأراضي المقدسة، مكة المكرمة، وما يلحق بها والتعرف على خصائص البلاد والشعوب، التي يمر بها التاجر والحاج، منذ أن يغادر بلده حتى يبلغ مهبط الوحي<sup>(71)</sup>.

## ثانياً : الإسهامات العلمية للتجار التأليف :

كان من الإسهامات العلمية للتجار المشاركة الملحوظة في الجانب الثقافي من خلال تأليف الرحلات الحجازية، وهي أهم أنواع الرحلات، لأن مقصدها كان أسمى ألا وهو أداء فريضة الحج، فالرابط الروحي المتمثل في أداء فريضة الحج، وما يصاحب ذلك من منافع دنيوية كالتجارة كان محفزاً على هذا النوع من الرحلات إلا أن الرحلات الحجازية هي التي يكون الباعث إليها زيارة البقاع المقدسة، وعلى رأسها مكة المكرمة مهبط الوحي، وزيارة العلماء والأخذ عنهم، مما يدفعهم ذلك إلى تسجيل ما يشاهدونه وما يرونه خلال السفر، ويصوغون ذلك في قوالب فنية تخلد رحلاتهم وذكرياتهم<sup>(72)</sup>.

فالحج هو الدافع الأساسي للرحلة الحجازية ولظهور وهذا النوع من الفن الأدبي، فقد كان الحج هو من أهم أسباب حركة التجار بين المشرق والمغرب وعمل الحج على توحيد الثقافة ومعاملات التجارة في سائر أنحاء البلاد الإسلامية، على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصلها عن الحجاز، مع اختلاف وسيلة التعامل إلا أن طريقة التعامل كانت قريبة من بعضها إلى حد بعيد<sup>(73)</sup>.

إذ عدت مكة ينبوعاً فجر طرق التجارة، محرك أقلام الرحالة لوصف وسرد كثير من القصص والأخبار، التي سمعوها في طريقهم، ووصف المشاهدات التي رأوها في أثناء رحلتهم، ودون بعض الحجاج واسعبي الثقافة مشاهداتهم بعد عودتهم، لينتفع بتجاربهم سائر المسلمين، ومن ثم زخرت كتبهم بأحوال سكان



هذه الإشكاليات كانت نتيجة للإرهاصات الفكرية والمعرفية للتجار في مكة المكرمة ، وهي إن كانت وجهتها وآثارها سياسية إلا أن دوافعها دينية/ ثقافية معرفية متمثلة في مقارنة الوضع الديني بما هو في مكة المكرمة عن غيره ، ومعرفية متمثلة في البحث والفكر عن ما يخص موطن القوة للإمة الإسلامية ، وثقافية متمثلة في جمع معلومات عن العالم الإسلامي والقائمين عليه. ولكن الأهم من ذلك كله هو أن تلك الدوافع الدينية والعلمية والثقافية أدت إلى أن ينال التاجر الذي ذهب لمكة المكرمة الاحترام والتقدير من قبل المكيين أنفسهم ، إذ أن الحقيقة المهمة التي يجب ذكرها -والقول لسنوك- هي أن الكثير من هؤلاء الذين عملوا بالتجارة يتعلمون العلم ويتنافسون على أداء الواجبات الدينية في مكة المكرمة، الأمر الذي يؤدي إلى رفعة شأنهم وارتقاءهم إلى مرتبة مرموقة<sup>(84)</sup>. وقد برز من هؤلاء التجار كثير من أجلة العلماء بعضهم استقر في مكة المكرمة ، وبعضهم الآخر تاجر في مكة وتعلم ثم عاد ليذكي الحركة الدينية والثقافية في بلده<sup>(85)</sup>.

### **المنشآت التعليمية [الكتاتيب ، المدارس و المكتبات ، الأربطة ] الكتاتيب:**

الكتاتيب هي: جمع كُتَاب. وهو: مكان للتعليم الأساسي، كان يقام \_ غالباً \_ بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وشيء من علوم الشريعة والعربية، والتاريخ، والرياضيات ... وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم<sup>(86)</sup>. وقد اسهم التجار في مجال عمل الكتاتيب لتعليم أبناء مكة، حيث يعتبر الكتاب مكان الدراسة الأولية ، والذي يبدأ الطالب فيه بتعلم مبادئ القراءة والحروف ، والعمليات الحسابية البسيطة ، إلى جانب معرفة ، وقراءة بعض صغار سور القرآن الكريم ، ولا أحد ينكر دور «الكتاتيب» كمؤسسة تعليمية تخرج في جنباتها كثير من الأجيال، الذين حفظوا القرآن الكريم وتعلموا قواعد القراءة والكتابة، وتربوا على المبادئ والأخلاق الحميدة، ثم أصبحوا بعد ذلك قادة منابر وأصحاب فكر في المجتمع يشار إليهم بالبنان في مختلف التخصصات في قراءة القرآن بجميع رواياته، وأيضاً في القضاء والطب والهندسة والأدب والثقافة والفن. وفي مكة في العصر العثماني أدت الكتاتيب دوراً فاعلاً في إثراء الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في المدينة المقدسة بجانب حلقات العلم التي انتشرت بين جنبات المسجد المكي الحرام<sup>(87)</sup>. وبعد انتهاء الطالب من الكتاب يعملون له إقلابة ( من الفصحى ، قلب بمعنى صرف ، فيقال قلب المعلم تلاميذه أي صرفهم). وهي حفلة تقام في مكة المكرمة عند ختم الصبي المصحف ، أو أجزاء منه ، وانصرافه من الكتاب إلى التعليم الأعلى<sup>(88)</sup>. ومن أشهر كتاتيب التجار بمكة خلال فترة الدراسة الكتاب الذي أنشأه التاجر محمد الجنجاني والذي كان مخصص لتعليم أبناء الحجاز واليمن دون أجر<sup>(89)</sup>.

### **المدارس والمكتبات:**

كان يوجد بمكة المكرمة خلال القرن 12هـ/18م بجوار الحرم المكي عدد من المدارس<sup>(90)</sup> أسهمت في إقبال الناس على العلم، والرحلة إليه، وأشهر هذه المدارس على الإطلاق هي مدارس السلطان سليمان القانوني<sup>(91)</sup> (926 - 974هـ) إذ كانوا عبارة عن أربع مدارس تدرس كل منها أحد المذاهب الأربعة، والمدرسة المرادية<sup>(92)</sup> التي أنشأها السلطان مراد الثالث، ومدرسة الوزير محمد باشا<sup>(93)</sup>، ومدرسة السلطان محمود<sup>(94)</sup>، والمدرسة الداوودية<sup>(95)</sup>، والمدرسة الرشيدية<sup>(96)</sup>، علاوة على إرث المدارس المملوكية على كثرتها، والمدارس

اليمنية، التي أسهمت كلها في إشعال الحركة العلمية والتي تسابق طلبة العلم من جنوب شرق آسيا على الإقبال عليها والنهل من فيض علومها<sup>(97)</sup>. وعلى الرغم من عدم وضوح الرؤية عن إسهام التجار في بناء المدارس إلا أن دور التجار المكيين بارزاً في وقف الكتب بمكتبات المدارس وهو هدف علمي ملحوظ<sup>(98)</sup>. وجدير بالذكر أن هناك أسباب معينة ساعدت على اهتمام تجار مكة بأمر مكتبات المدارس ووقف الأوقاف عليها وهي:

الخصوصية التي تميزت بها هذه الولاية والفعاليات التي تهافت عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، مما أدى إلى المساهمة في إغناء الحياة الفكرية والعلمية فيها.

تنافس أهل الحجاز ومكة خاصة في اقتناء الكتب والمخطوطات الثمينة، وفي زيادة مقتنياتهم. فقد كان من بعض تجار مكة "يطلب الكتب الثمينة من البلاد الشاسعة، عدداً منها بخط يده"<sup>(99)</sup>، وتشير الدراسات المتخصصة إلى أن أحد التجار، حاول بناء مكتبة في الموضوع الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم في (سوق الليل) واشترى لهذا الغرض مكتبة آل الكردي، وهي مكتبة غنية بالمخطوطات والمطبوعات الثمينة في التفاسير والأحاديث الدينية وكتب الفقه واللغة ودواوين الشعر والتراث، وتتميز بالذات بكتب التفسير المخطوطة والتي جمعها من أنحاء العالم الإسلامي<sup>(100)</sup>. وبطبيعة الحال كان التجار ممن لهم اختلاط بالعلم والعلماء ومن سار على سيرتهم من يتنافسون في ذلك؛ مما أسهم في زيادة المكتبات في مكة والحجاز، وانعكس ذلك على الحياة الثقافية بالعاصمة المقدسة على مر العصور<sup>(101)</sup>. وتعد المكتبة الخاصة المنسوبة للعالم الذي عمل بالتجارة إبراهيم الزمزي والتي اقتناها مؤسسها الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد اللطيف ابن عبد السلام الرئيس الزمزي المكي الشافعي (1110 - 1195هـ / 1698 - 1780م) وجعلها في داره بمكة المكرمة. وقد أوضح لنا صاحب كتاب (نشر النور والزهر) المصير التي آلت إليه هذه المكتبة فقال: "واقنتى كتباً نفيسة في سائر العلوم بردها أولاده من بعده وباعوها بأبخس الأثمان"<sup>(102)</sup>. ولما كانت أسواق الكتب الحجازية قد عرفت فئة من الوراقين تخصصت في الترويج والدعاية للكتب والنداء عليها، ويطلق عليها اسم دلالي الكتب. فقد دفعت تلك الحركة الثقافية الواسعة ببعض أبناء الحجاز إلى التخصص في تجارة الكتب من المناطق التي كانت تنشط فيها طباعة الكتب مثل مصر والهند، وكذلك جلب المخطوطات من خارج الحجاز أو شراء ما يعرض منها داخل الحجاز، والنوع الآخر الإسهام في نشر بعض الكتب وتمويل طباعتها ومن أشهر تجار الكتب في مكة في تلك الفترة أحمد عثمان الهندي المتوفي سنة 1277هـ/1860م حيث كان "يتجر بكتب الحديث فيجلب منها الغريب إلى الحجاز ويحمل إلى الهند الغريب منها 15 عاماً حتى كون له مكتبة عامرة بصنوف كتب الحديث"<sup>(103)</sup>.

بطبيعة الحال ليس هذه كل إسهامات التجار المكيين في جانب المكتبات التي كانت موجودة بمكة المكرمة من العصر العثماني، إذ أن هذه نماذج تدل على كثرتها، وذلك لأن التجار كانوا من الكثرة وبما أن كثير من العلماء عمل بالتجارة فكان طبيعي أن يكون كل عالم يمتلك مكتبة تساعده على مواصلة التأليف والشروح والقاء الدروس، فذلك يعني أن المكتبات كانت من الكثرة، ومساهمة التجار ملحوظة.

### الإربطة<sup>(104)</sup>:

الرباط في الأصل بيت المجاهدين، وكان دور هذه الربط يتمحور حول إرسال الأخبار الهامة إلى المدن عن طريق الإنذار السريع عند تعرض البلاد لخطر ما "فإن كان ليل أوقدت منارة ذلك الرباط وإن كان

نهارا دخنا<sup>(105)</sup>. وقد أدى توقف حركة الفتوحات الإسلامية إلى تقلص دور الأربطة، وزاد في هذا تغير نمط الجيوش الإسلامية، وهو ما أدى إلى تغير وظيفة الأربطة، وفقدتها لطابعها الحربي، وصارت لها وظائف متعددة، حيث تغلبت عليها الصفة الدينية وحدها، ومع انتشار التصوف تحولت إلى دور للصوفية، على أساس أنهم كانوا يخوضون جهادا روحيا. هكذا تبدلت الأمور، وغدت الأربطة تقام في الأماكن العامرة، بعد أن كانت تقام في أطراف المدن وعلى حدود الدولة، وصارت ملاجئ مستديمة لفريق من الناس يستحقون الرعاية، وبخاصة أصحاب العاهات وكبار السن والعميان. وكانت الأربطة تغذي الوافدين إليها بالتعليم الديني، وتوفر لهم غذاء روحيا، وفي العصر العثماني أصبحت كثير من الأربطة ملاجئ للفقراء من نساء ورجال يقدم لهم فيها الطعام وتصرف المساعدات المختلفة. وكانت الأربطة بمكة مراكز للتعليم الديني، بالإضافة إلى مهامها الاجتماعية والسياسية<sup>(106)</sup>، وكان في بعضها مكاتب وفي حين كان الصوفية يقيمون في الخوانق بصورة دائمة أو شبه دائمة، كان زوار الأربطة يقيمون فيها لمدد قصيرة نسبيا، غير أن التمييز بين الخوانق والربط لم يكن متيسرا في كثير من الأحيان. وقد كثرت الأربطة بمكة المكرمة خلال العهد العثماني<sup>(107)</sup>، وقد اختلفت فئات الواقفين للأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، ابتداء من السلاطين والأمراء وأقاربهم من النساء والتجار وحتى عامة الناس. فالسلاطين والملوك قدوة في عين غيرهم ف التقرب إلى الله جل جلاله في وقف أربطة لهم في مكة، وسار على منوالهم ونهجهم الأمراء والعلماء والقضاة وكبار التجار وعامة الناس من الميسورين<sup>(108)</sup>. وعن دور تجار مكة إبان القرن 12هـ/18م في هذا المجال، فأتوا في المرتبة الثامنة من حيث عدد ومراكز الواقفين. حيث بلغ عدد الأربطة التي أوقفها تجار مكة ثلاثة أربطة، أي ما نسبته 1.91%<sup>(109)</sup>.

كانت الأربطة خدمة اجتماعية قدمها التجار لسكان مكة ومجاوري الحرمين الشريفين من الفقراء والمساكين والمنقطعين من أبناء السبيل في توفير المأوى لهم حيث أن غالب هؤلاء المجاورين والوافدين رغبوا في الإقامة بمكة المكرمة إلا أن الكثير منهم لم يكن له القدرة على بناء مسكنا له مما يضطرهم إلى قضاء معظم أوقاتهم بالحرم المكي والمبيت به، فكان التجار المكليون من ضمن الفئات التي حرصت على إنشاء الأربطة وإيقاف الأوقاف عليها حتى تشارك في احتضان هذه الفئة الكبيرة من فئات المجتمع الحجازي، وقد حققت هذه الأربطة الفائدة المنشودة من بنائها في احتواء هؤلاء السكان، كما أن هذه الأربطة وفرت لهم مستلزمات السكن المريح بما كانت تضمه من آبار للمياه وأماكن للطبخ وعدد من الميضات وأماكن النظافة والاعتسال<sup>(110)</sup>. وإلى جانب الفائدة الاجتماعية أسهمت الأربطة التي أوقفها تجار مكة خلال القرن 12هـ/18م في تحقيق الفائدة الثقافية والفكرية وذلك لأن غالب هذه الأربطة كانت ملحقة بالمدارس والكتاتيب ومراكز التعليم الأخرى، فكان هذا مدعاة إلى إقبال سكان الرباط على طلب مختلف العلوم والمعارف من هذه المراكز التعليمية، إضافة لذلك فقد كان هناك عدد كبير من هذه الأربطة موقوف على العلماء وطلبة العلم مما وفر عليهم مشقة البحث عن المأوى والسكن فانصرفت جهودهم نحو الإبداع الفكري والإنتاج الثقافي<sup>(111)</sup>.

## الخاتمة:

لا شك أن التجارة هي أحد أهم مظاهر الحياة في أي مجتمع، فهي تتأثر بما يجري في المجتمع من أحداث و تؤثر فيه؛ لذلك جاء البحث متناولاً موضوعاً ذا أهمية كبيرة في تاريخ مكة المكرمة الاجتماعي والحضاري، من خلال تجار مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. وقد كان المجتمع المكي الذي تناولته فترة الدراسة في عهد الحكم العثماني للحجاز، والذي اتسم بسمات خاصة صبغت على أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية صبغة خاصة، وكان تجار مكة وتجارها أكثر من تأثروا بها وأثروا فيها. والقارئ لتاريخ مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي يتضح له أن هناك عدة عناصر شاركت في صياغة نمط الحياة فيها، وأن تجار مكة المكرمة أحد أهم تلك العناصر، ومن خلال هذه الدراسة أدرجت عدة نتائج توضح أثر تجار مكة المكرمة، ودورهم في الحياة العلمية والثقافية في المجتمع المكي في تلك الفترة، والتي جاءت على النحو الآتي:

- الدور الكبير الذي لعبته مكانة مكة التجارية وميناء جدة بوصفه أهم ميناء حجازي وفرضة مكة الرئيس على البحر الأحمر- في تنشيط الحركة الاقتصادية في البحر الأحمر.
- المكانة الكبيرة التي احتلها مكة، لاسيما وأنه لم يكن يسمح للمراكب الأجنبية أن تتجاوز البحر الأحمر إلى الشمال شجع المراكب العربية التابعة للتجار العرب في الحجاز ومصر واليمن للقيام بإيصال السلع من جدة إلى الموانئ المصرية. وهو ما ساعد التجار على المشاركة في الجانب الحضاري والثقافي.
- عدت مكة ينبوعاً فجر طرق التجارة، محرك أقلام الرحالة لوصف وسرد كثير من القصص والأخبار، التي سمعوها في طريقهم، ووصف المشاهدات التي رأوها في أثناء رحلتهم.
- كانت الحركة التجارية اليومية بمكة في القرن الثاني عشر الهجري كانت تتمركز في أسواق قريبة من المسجد الحرام. أما في أيام الموسم فتصبح المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام كلها سوقاً عظيمة، يباع فيه من الدقيق إلى العقيق، ومن البر إلى الدر، إلى غير ذلك من السلع.
- اهتم التجار بالتجارة في الكتب حيث كان سوق الكتب وجه آخر من وجوه تجارة مكة وأسهم في علو مكانتها التجارية، وكان يعقد بعد عودة الحجيج من عرفة ولا يعقد إلا في موسم الحج فقط، حيث يقوم بعض العلماء بعرض بعض الكتب للبيع في المسجد الحرام، بالقرب من باب السلام.
- تعددت مشاركات التجار في المجال الثقافي والعلمي ما بين المشاركة في إنشاء وإقامة المؤسسات وتأليف الكتب وإلقاء الدروس.
- كان هناك أثر إيجابي لمشاركات التجار في الجانب الحضاري انعكس على المجتمع المكي والحجازي ككل في تطوير الواق الثقافي والتعليمي.

## التوصيات :

- إذا أردنا أن نخرج بتوصيات، فإن الدراسة تخلص إلى أنه على الرغم من كثرة البحوث والدراسات التاريخية حول الحجاز، إلا أنه ————— يزال غنياً بمادته التاريخية التي تصلح أن تكون مادة للدراسة والبحث، لاسيما أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية، والتي تزخر بها وثائق المحاكم الشرعية في مكة المكرمة، ولا زالت بعيدة عن يد الباحثين وفي طي الكتمان، بالرغم من المحاولات المفضنية من أجل التوصل لها واستفادة طلاب العلم منها.

## الهوامش:

- (1) السلطان: هو الذي يحكم في ولايته حكم الملوك، ويكون رئيساً لأمرء، ويملك ممالك متعددة، وقد يطلق عليه اسم السلطان الأعظم، ويشترط أن يخطب له في ممالك متعددة، أقلها ثلاثة أيام وأكثرها ثلاثة أشهر. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دمشق: دار الفكر، 1410هـ/1990م، ص92.
- (2) سليم الأول: هو السلطان سليم بن بايزيد، ولد سنة 868هـ/1463م بمدينة أماسية، وتولى عرش السلطنة بعد خلع والده سنة 918هـ/1512م، وظل متولياً للسلطنة في الدولة العثمانية حتى كانت وفاته سنة 926هـ/1520م. الغزي، محمد بن أحمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبريل سليمان جبور، بيروت: دار الأفق للنشر والتوزيع، 1399هـ/1979م، ج1، ص209؛ أرسلان، شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، بيروت: دار ابن كثير للنشر والتوزيع، 1422هـ/2001م، ص139-134.
- (3) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعه وتنقيح محمود الانصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988م، ص233-235.
- (4) محمد أحمد ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: خليل إبراهيم، ج4، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، ص118.
- (5) خصصت الدولة العثمانية مساعدات محددة ترسل من مصر للصرف منها على شؤون الحرمين الشريفين وسكان المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة وأهالي الحجاز عامة، وكانت تلك المساعدات تتكون من شقين رئيسيين: أحدهما يأتي مباشرة من خزينة مصر، وأغلبه مواد عينية مثل القمح والسكر والقطن والزيت والشعير، والآخر يأتي من واردات أوقاف الحرمين الشريفين الموجودة في مصر التي كانت قد أُوقِفَتْ من قبل حكام وأمرء مسلمين وبعض الموسرين من الأهالي. ينظر: محمد علي فهم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العهد العثماني في الفترة 1220-923هـ/1805-1517م، رسالة ط1، القاهرة: دار القاهرة للكتاب، 1421هـ/2001م، ص312.
- (6) الشريف بركات: هو بركات بن محمد، أمير مكة، ولد سنة 861هـ/1456م، بمكة المكرمة، وتولى الشرافة بعد وفاة والده سنة 903هـ/1498م، وظل على الشرافة حتى وفاته سنة 931هـ/1525م. دحلان، أحمد زيني، خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1397هـ/1977م، ص46-49؛ السباعي، أحمد، تاريخ مكة المكرمة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، 1419هـ/1999م، ج2، ص393-394.
- (7) أبو نهي: هو محمد أبو نهي بن بركات بن محمد، ولد سنة 911هـ/1506م، أرسله والده إلى القاهرة لمقابلة السلطان سليم الأول وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة، تولى الشرافة سنة 931هـ/1525م، وذلك بعد وفاة والده، واستقال عن الشرافة لابنه الحسن سنة 974هـ/1566م، وبقي على حاله حتى وافاه الأجل سنة 992هـ/1584م. حقي، إسماعيل جارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة خليل مراد، البصرة: مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة، 1406هـ/1986م، ص106-103.
- (8) العرابي، عبدالرحمن سعد، منطقة مكة المكرمة في العصر العثماني، موسوعة المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ص2.

(9) الأشراف بنو زيد: نسبة لجدهم الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن محمد بن أبي نهي الثاني بن بركات ويتفرعون إلى ثمانية فروع وهم: آل غالب نسبة للشريف غالب بن مساعد بن سعيد، الأشراف آل عبد الله نسبة إلى عبد الله بن سرور بن مساعد، الأشراف آل سعيد نسبة إلى سعيد بن سرور بن مساعد، وآل يحيى نسبة إلى يحيى بن سرور بن مساعد، وذوو مبارك نسبة إلى مبارك بن أحمد بن زيد، وذوو مساعد نسبة إلى مساعد بن عبد الله بن سعيد، وذوو ماضي نسبة لجدهم ماضي بن سليمان بن سعد بن زيد، وأخيراً الأشراف العواجيه نسبة لجدهم مسعود العواجي بن دخيل الله بن محمد بن زيد. ينظر: أبو هشام عبدالله بن صديق، الأسر القرشية اعيان مكة المحمدية، ط1، جدة، 1983م، ص137.

(10) الأشراف آل بركات: ويعود نسبهم إلى الشريف بركات بن محمد أبي نُمَي الثاني والذي انحصر عقبه في أبنائه الثلاثة: الشريف موسى، والشريف إبراهيم، والشريف عمرو، أما ذرية الشريف موسى بن بركات فهم سبع فروع: ذوو ناصر، وذوو بركات، وذوو عبدالكريم، وذوو رضا، والرابعة، والشواكرة، والغوث، أما ذرية الشريف إبراهيم بن بركات فينقسمون لخمسة فروع وهم: ذوو حسين، وذوو عبدالله، وذوو إبراهيم، وذوو زين العابدين، والمفالحة، أما ذرية الشريف عمرو بن بركات فهم اثني عشر فرعاً وهم: ذوو بركات، وذوو عساف، وذوو مغامس، والحيادرة، والشعافلة، وذوو حازم، وذوو شنبر، والعرامطة، والوبران، وذوو أحمد، والعلوات، وذوو دخيل. ينظر: عبدالله بن صديق، الأسر القرشية، ص140.

(11) آل زيد مسعود بن محمد، تاريخ مكة المكرمة - 1041 1299هـ / - 1631 1881م، القاهرة: دار القاهرة، 2005م، ص91.

(12) عماد عبدالعزيز يوسف ، الحجاز في العهد العثماني، ط2، بغداد، شركة الوراق للنشر، 2014م. ، ص65.

(13) الصرة العثمانية أو الهمايونية : معناها ما يصر على الشيء وهي تعني كيس النقود وهي الأموال التي كان يرسلها السلاطين العثمانيين إلى أهالي الحجاز لتوزع على الحكام والأشراف والأعيان والفقراء، سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة بلاد فهد الوطنية، 2000م، ص144.

(14) الوقف لغة: الوقف بفتح الواو وسكون القاف، مصدر وقف الشيء وأوقفه بمعنى حبسه وأحبسه. وتجمع على أوقاف ووقوف. وسمي وقفاً لما فيه من حبس المال على الجهة المعنية. [ابن منظور : لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1998م، ج 9 ص360-359].

(15) أما الوقف اصطلاحاً :

(16) ذكر الفقهاء تعريفات مختلفة للوقف تبعاً لأرائهم في مسائله الجزئية، إلا أن أشمل تعريف للوقف هو: «تجبيس الأصل وتسييل المنفعة» [الزركشي : شرح مختصر الخرقى ، ج4 ص268]؛ إذ يؤيده ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أرضاً بخير، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله! أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر

- به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها» [رواه البخاري، محمد ابن إسماعيل، الجامع الصحيح، ط بيروت، دار الحياة، 2005م، كتاب الشروط - باب الشروط في الوقف 2/982- رقم 2586، وفي الوصايا، باب الوقف كيف يكتب (3/1019- رقم 2620)، ورواه: مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ: ٨٧٥ م /، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار احياء التراث العربي، د. ت. في الوصية - باب الوقف 3/1255- رقم 1632]، وفي رواية: « حَبَسَ أَصْلَهُ، وَسَبَّلَ ثَمَرَتَهُ ». [رواه النسائي احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ت ٣٠٣ هـ: ٩١٦ م /، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البغدادي وزميله، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١ م، كتاب الإحباس - باب حبس المشاع، 6/232. وهو صحيح الإسناد على شرط الشيخين] فقلوه: (تحببس) من الحبس بمعنى المنع، ويقصد به إمساك العين ومنع تملكها بأي سبب من أسباب التملك<sup>٥</sup>. وقوله (الأصل) أي العين الموقوفة. [البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي كشاف القناع عن متن الإقناع راجعه وعلق عليه: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دمشق، دار سعد الدين 2004م، ج 2 ص 489].
- (17) كمال حامد مغيث، مصر في العصر العثماني (1517 - 1798م) المجتمع والتعليم، القاهرة المطبعة التجارية، 1998م، ص 168، محمد علي فهم بيومي، مخصصات الحرمين في العصر العثماني، القاهرة، دار القاهرة، 2001م، ص 55 - 126.
- (18) تعتبر التكية من المنشآت الدينية التي يرجع أصلها إلى العصر العثماني، وتم إنشاؤها في الولايات التابعة للدولة العثمانية لإقامة المتصوفين المنقطعين للعبادة ولمساعدة عابري السبيل، حيث حلت مكان الخانقاوات في عصر السلاجقة. وتعني كلمة التكية الاتكاء على الشيء، والاستناد عليه للاسترخاء، وتعني أيضاً المأوى الذي يضم المسافرين والفقراء والمعتكفين، ويبقى فيه المصابين بأمراض مزمنة لحين وفاتهم، حيث تقدم لهم الرعاية الصحية من قبل منظمات دينية. كانت التكايا في بداياتها عبارة عن مباني بسيطة خالية من الفنون المعمارية، وكانت فقط لتوفير الأماكن المناسبة لنزول الفقراء وعابري السبيل وغيرهم من الرواد، وتأمين ما يلزمهم من طعام ومصاريف أخرى، مع وجود من يخدم هؤلاء الرواد. مع تطور فن العمارة بدأت التكايا تأخذ شكلاً معمارياً مختلفاً لدرجة أن ما تبقى منها حتى يومنا هذا تحول إلى معالم سياحية يقصدها السياح من جميع أنحاء العالم. كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامي، القاهرة 1991م، ص 122.
- (19) المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، دار صادر، د. ت، ج 1 ص 446، 447، ج 1 ص 266، 457، ج 5، ص 126، ج 3 ص 270.
- (20) أحمد السباعي، تاريخ مكة المكرمة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، 1419هـ/1999م ص 451 - 453.
- (21) Hurgronje, C.S "make in the Later Part of The 19th century", Leiden, Brill, 1970, P. 230 - 232.
- (22) جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ترجمة عبد العزيز الصلابي عن عبد الرحمن عبدالله الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ / 1992م، ص 168.

(23) مثل الطوافة , والمطوف، فهو من يرشد الحجاج إلى مناسك حجهم، ويعمل على توفير الخدمات لهم منذ وصولهم إلى مكة المكرمة حتى مغادرتهم لها، أما الطوافة فهي مهنة متوارثة يقوم بها أشخاص معروفون بمكة المكرمة . ويقال إن الطوافة أول ما ظهرت عام 884هـ على يد القاضي إبراهيم بن ظهيرة حينما كلف بتطويق السلطان قايتباي أحد سلاطين الشراكسة، وظلت داخل قطاع القضاة حتى عام 923هـ/1517م حيث خرجت إلى الوجهاء، وقد أشار إلى ذلك أحمد السباعي عن محمد الميلاس الذي كان من أعيان مكة المكرمة وأحد وجهائها، والذي قام بتطويق أمير الترك « قانصوه باشا» الذي حج عام 1039هـ/1616م، وكان أمراء مكة المكرمة يصدرن ما يعرف بالتقارير والتي يخصصون فيها مدناً محددة لحجاج معروفين، وقد شهدت التقارير عمليات إلغاء وإعادة على مر السنين » ينظر بالتفصيل : مقال : الطوافة.. مهنة بدأت منذ قرون وما زالت مستمرة، مقال بمجلة الرياض : عدد السبت 28 ذي القعدة 1436 هـ - 12 سبتمبر 2015م - العدد 17246.

(24) Delier Noer, The modernist muslim movement in Indonesia, 1900 – 1942, Singapore, kuala lumpurm London New York, Oxford university, press, p. 25.

(25) سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة : علي عودة الشيوخ، ج1، الرياض، داره الملك عبد العزيز، 1419هـ ص547؛ محمد محمود السورباني، البوتقة المكية وأثرها في حصر السكان، الدارة، العدد الرابع شوال 1426هـ ص194.

(26) ربما من اهم إسهامات التجار المكيين في المجال الحضاري هو عمران الأسواق على طول طرق التجارة والحج , حيث عدنا نعمة كبيرة للعالم الإسلامي خلال العصر العثماني , ولولا الحج وتجارته وانتظام أوقاتها لما عرفت الطرق والمسالك التجارية , لأن كل بلد من بلاد الدولة العثمانية, كان يرتب شؤون تجارته بحسب موقعه من الأراضي المقدسة , فقد كان الحجاج والتجار يحملون من محصولات بلادهم المطلوبة في بلاد أخرى , ويبيعون ويشتررون على الطريق, علاوة على البيع والشراء داخل مكة والمدينة, وهكذا كانت ركبان الحج من عوامل الرخاء الاقتصادي للحجاز وطرق الحج والتجارة, والرابح الأكبر هم التجار بطبيعة الحال. حيث كانت الطرق المؤدية إلى مكة تستفيد من القوافل التي تمر بها , ومن تدفق السلع عليها في كل عام, وبذلك تعمر الأسواق -الحجازية وغير الحجازية- في كل سنة , فقد ذكر الرحالة المغربي ناصر الدرعي والذي أدى مناسك الحج في القرن 12هـ/ 18م أن الطريق ملئ بالأسواق في موسم الحج وكأنها سوق واحدة متصلة. الدرعي, الرحلة الناصرية, ص304. وبالنسبة لتجار مكة فقد استفادوا من وجود أسواق تجارية في المناز التي كانت تتوقف فيها القوافل, وقد كانت تتم عملية تسويق أجزاء من السلع, التي تحملها القوافل في هذه المنازل إلى محطات تجارية. عبدالرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم, المغاربة في مصر في العصر العثماني (1798-1517م) دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية, تونس, منشورات المجلة التاريخية المغربية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر, 1982م, ص76-66, ص67.

(27) أباطة, فاروق عثمان, أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح, القاهرة, دار المعارف, د.ت, ص 22؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم, المرجع السابق, ص 76.

- (28) العمراني، عبد الوهاب محمد، مشاهدات وانطباعات من الشرق والغرب : رؤية يمنية في أدب الرحلات، الأردن، دار الخليج للنشر، 2017م، ص60.
- (29) العمراني، المرجع السابق، ص61؛ رافق، عبد الكريم، الاقتصاد الدمشقي والرأسمالية الأوروبية في القرن التاسع عشر، الندوة الدولية حول بلاد الشام خلال العهد العثماني، المنعقد فعالياته بدمشق، 30-26 سبتمبر، 2005م، اسطنبول، 2009م، ص29.
- (30) الغاشي، مصطفى، الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء الصورة، ط1، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 2015م، ص461.
- (31) فارتيمبا، لود فيكو دي، رحلات فارتيمبا (الحاج يونس المصري) ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ، القاهرة، هيئة الكتاب، 1994م، ص53؛ جول جرقيه كورتيلمون، رحلتي إلى مكة المكرمة في عام 1894م، ترجمة أحمد أييش، ط1، الإمارات العربية، منشورات هيئة أبو ظبي للسياحة، دار الكتب الوطنية، 2013م، ص110.
- (32) كورتيلمون، رحلتي إلى مكة المكرمة، ص110؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، فصول، ص191؛ المغاربة، 68؛ الغاشي، المرجع السابق، ص460-459.
- (33) فارتيمبا، رحلات، ص53؛ كورتيلمون، رحلتي إلى مكة المكرمة، ص110.
- (34) علي كامل حمزة السرحان، قافلة الحج العراقي، ص88؛ وانظر نفس القول على البضائع الشامية عند: الوريثلاني، الحسيني بن محمد الورثلاني: الرحلة الورثلانية 1179 - 1180هـ المعروفة (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الطبعة الثانية، بيروت 1394هـ / 1974م، ص467.
- (35) قيصر أديب مخول، الإسلام في الشرق الأقصى وصوله وانتشاره وواقعه، بيروت- الدار العربية للنشر 1966م، ص95، محمد سعيد داؤد، السمات العامة لهجرة العرب الحضارمة إلى جنوب شرق آسيا، ورقة علمية قدمت في المؤتمر الدولي: بعنوان العرب الحضارم في جنوب شرق آسيا بين صيانة الهوية أو الانصهار، نظمه قسم التاريخ والحضارة بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بالتعاون مع سفارة اليمن بماليزيا في الفترة 26 - 28 أغسطس 2005م، ص517 - 518.
- (36) علوى بن طاهر الحداد، المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى. القاهرة، 1971م، ص32 - 33.
- (37) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج8، ص459.
- (38) محمد سعيد داؤد، السمات العامة لهجرة العرب الحضارمة، ص507؛ محمد عبد الله تعلق ص هجرة الحضارمة جنوب شرق آسيا في إطار المهاجر الحضرمية في العالم بحث بعنوان العرب الحضارم في جنوب شرق آسيا بين صيانة الهوية أو الانصهار، نظمه قسم التاريخ والحضارة بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بالتعاون مع سفارة اليمن بماليزيا في الفترة 26 - 28 أغسطس 2005م، ص428-416.
- (39) العياشي، أبو سالم المغربي 1090هـ، الرحلة العياشية، نشر على الحجر، قاس، 1898م، ص437.
- (40) العياشي، الرحلة، ص147.
- (41) العياشي، الرحلة، ص152، 158، 407، 465.
- (42) العياشي، المصدر السابق، ص429، 545؛ القادري، سمة الرأس، ص88؛ الدرعي، الرحلة الناصرية، ج2 ص53.

- (43) ابن سعد، الطبقات، ج2 ص368 - 369، الأزرقى، أخبار مكة، ج1 ص314؛ ابن الأثرى، أسد الغابة، ج3 ص187؛ ابن خلكان، وفیات الأعیان، ج3 ص62؛ حاجى خلیفة، كشف الظنون، ج1 ص430.
- (44) الحلوانى، سعد بدير، تعمير مكة المكرمة [1812 - 1840م]، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، دت ص12.
- (45) العیاشى، ماء الموائد، ص 49، 518، القادرى، نسمة الآس، ص75 - 91؛ الدرعى، الرحلة الناصرىة، ج1 ص207، الحضىكى، رحلة إلى الحرمین ص85؛ أبو مدین، الرحلة الحجازیة، ص134 - 138، 188 - 189، الزبادى، بلوغ المرام، ص 120، 172.
- (46) العیاشى، ماء الموائد، ص93، 396، 518، الدرعى، الدولة الناصرىة، ج1 ص15، 207، ج2 ص5، 53، 179؛ أبو مدین، الرحلة الحجازیة، ص133، 134، 145.
- (47) العیاشى، ماء الموائد، ص335، 545، 546، الدرعى، الرحلة الناصرىة، ج2 ص8، الغنامى، رحلة القاصدین، ص6.
- (48) العیاشى، ماء الموائد، ص 201، 340، 396، 503، 504، 517؛ الدرعى، الرحلة الناصرىة، ج1 ص188، 190، الأنصارى، تحفة المحبین، ص302.
- (49) العیاشى، ماء الموائد، ص551؛ أبو مدین، الرحلة الحجازیة، ص175 - 176.
- (50) الغنامى، رحلة القاصدین، ص7، الوادى آشى التونسى، شمس الدین محمد بن جابر، برنامج ابن جابر الوادى آشى، تحقیق محمد الحبيب هیلة، توثیق 1401هـ / 1981م، ص 100 - 101، الدرعى، الرحلة الناصرىة، ج2 ص 43 - 44.
- (51) العیاشى، الرحلة، ص 396.
- (52) الأنصارى، عبد الرحمن، تحفة المحبین والأحباب فى معرفة ما للمدینین من الأنساب، تحقیق محمد العروسى، تونس، المكتبة العتیقة، 1998م، ص78، 108، 147، 170، 279، 401، 460.
- (53) الأنصارى، تحفة المحبین، ص460، 470.
- (54) الدکالى، محمد بن على، الإتحاف الوجیز "تاریخ العدوتین" تحقیق مصطفى بوشعرك، المغرب، منشورات الخزانة العلمیة الصبىحیة - سلا المغرب، 1406هـ / 1986م، ص17؛ إبراهیم رفعت، مرآة الحرمین، ج2 ص 309 - 321.
- (55) العیاشى، الرحلة، ص 396.
- (56) عواطف نواب، الرحلات، ج2 ص 513، حسن عبد الغنى فؤاد، أهل الحجاز بعقبهم التاریخى، الریاض، مكتبة الملك فهد الوطنیة، 145هـ / 1984م ص179.
- (57) الرافعى، المعارج المرقیة، ص163، وینظر: سعد الدین عثمان، و غیره، دراسة عن الخدمات الصحیة المقدمة لأهالی والحجاجى همكة المكرمة والمدینة المنورة وتطورها خلال المراحل التاریخیة من القرن العاشر الهجرى حتى بداية العهد السعودى، مركز أبحاث الحج، قسم البحوث العامة، مكة المكرمة، ج2 ص 21 - 22.
- (58) الشافعى، حسین عبد العزیز، صك و قفیه الوزیر أبى بكر باشا همكة المكرمة وجدة 1147هـ / 1734م، نشر ودراسة، مجلة جامعة أم القرى العلوم الشرعیة، والدراسات الإسلامیة، العدد 47 رجب 1430هـ ص627؛ الأربطة مكة المكرمة فى العصر العثمانى ص73 - 77.

(59) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد، ص 36. ولم يكن الحجاج ينتقلون في جنبات مكة إلا سألوا عن عالم يكشف كربه أو أديب يؤنس غربة، فمثلاً التقى الحجاج في أحد مواسم حج القرن 12هـ / 18م بمجموعة من علماء الغرب الإسلامي، حفظت رحلة الحج أسماءهم وهم قاضي المالكية في قسنطينة إبراهيم الضرباني، وقاضي الحنفية شعبان بن جلول، والمفتي الشيخ علي الشريف، وقاضي الجماعة المنطقي المفسر عبد القادر الراشدي، والشيخ الصالح يحيى اليعلاوي، والأديب النحوي أحمد الزين، وعلي الزموري وأحمد العلمي وعبدالله التومي وعلي بن سعيد والطاهر بعداش ومبارك بن بوقرانه ومحمد الشليحي ومحمد بن نزار وعلي الشريف بن منصور، وأحمد بن الأحمر وأحمد بن ودافل وعلي بن الكيرد، ومحمد العنتري (الوريتلاني، الرحلة ج3، ص363) هؤلاء جميعاً كانوا في موسم حج واحد ومن بلد واحدة فما بالك بباقي علماء البلاد الأخرى ممن يسافرون إلى مكة كل عام.

(60) الوريتلاني، الرحلة، ج1 ص266، 359.

(61) عبدالله مرداد، المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تحقيق محمد سعيد العامودي، وغيره، جدة، عالم المعرفة، 1986م ص471.

(62) أبو القاسم سعد الله، تابع الجزائر الثقافي، ج1، ص431.

(63) الجبرتي، عجائب الآثار، ج1 ص595.

(64) مرداد، نشر النور، ص385، العياشي، الرحلة، ج2 ص172؛ السباعي، تاريخ مكة، ج2 ص554.

(65) العياشي، الرحلة، ج2، ص143، ويحسب للمجاورين تأثرهم الإيجابي بالتطورات الحادثة في المشرق، من ذلك مثلاً تضامنهم واندفاعهم التلقائي للزود عن حياض مصر وبيضة الإسلام، بعد وصول خبر الحملة الفرنسية على مصر إلى بلاد الحرمين. حيث شرع المجاورون في تعلّم استعمال السلاح، والجِدِّ في التدريب العسكري، استعداداً للتعبئة من أجل جهاد الفرنسيين وحماية مصر أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج2 ص554. فقد ذكر الجبرتي أنه أثناء الحملة الفرنسية 1798م قدم وفد من المغاربة للحج، ولما سمعوا بالحملة الفرنسية، أرادوا مساعدة المصريين ضد الفرنسيين، حيث يقول: "..... حضر مغاربة حجاج إلى بر الجيزة...، ووشى شخص إلى الفرنسيين أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم وأنهم اشتروا خيلاً وسلاحاً وقصدهم إثارة الفتنة، فأرسل الفرنسيين إليهم جماعة ينظرون في أمرهم، فذهبوا إليهم وتكلموا مع كبيرهم، فقالوا: إنما جئنا بقصد الحج لا لغيره: فقليل له: "ولأي شيء تشترون الأسلحة والخيول، فقال نعم لازم لنا فليل لأنه عنكم أنكم تريدون محاربة فرنساوية وتقولون الجهاد أفضل من الحج فقال هذا كلام لا أصل له..... وإن هذه البلاد ليست لنا، ولا لسلطاننا حتى تقاتل عليها، ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدى جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح...." الجبرتي، عجائب الآثار، ج3 ص93 - 94.

(66) ينظر: حسن الصادقي، الوجود المغربي في المشرق من خلال كتب التراجم المشرقية، مجلة المناهل، منشورات وزارة الشؤون الثقافية - المغرب، ج38، السنة 25 جمادى الأولى 1415هـ / ديسمبر 1989م ص298 - 299.

(67) طرفة العبيكان، مرجع سابق، ص192.

- (68) سعد بدير الحلواني، ترميم مكة المكرمة ، ص 206-207.
- (69) سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية، القاهرة، هيئة الكتاب، 1999م، ص 401-400
- (70) سنوك، صفحات ص49؛ جوجيين تجوان، «الوضع التجاري المتغير للصين في جنوب شرقي آسيا»، ترجمة محمد اينش، ضمن المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، ع 8، السنة الثانية، يوليو - سبتمبر، 1972، ص. 57
- (71) كان الجيلدر الهولندي بمثابة العملة الهولندية المُستخدمة في الفترة الواقعة ما بين ثمانينيات القرن السابع عشر الميلادي حتى مطلع القرن العشرين وكان الجيلدر وحدةً فرعيةً لليورو؛ إذ لم تكن العملات المعدنية والورقية لليورو متاحة، وكانت البلاد تستخدم مصطلح جولدن (بالهولندية: gulden) وهي صفة هولندية للإشارة إلى أنَّ العملات المعدنية كانت مصنوعةً من الذهب . عادل حسن الرباط ، من تاريخ النقود ، مقال بمجلة الحياة ، 10 مايو 2019 م .
- (72) سنوك، صفحات، ص549.
- (73) الدوسري، عبدالرحمن محمد ، الحج : أحكامه أسراره منافعه، ط1، الرياض، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، 1421هـ ص53.
- (74) بناهض عبد الكريم، التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد) مجلة الذاكرة، منشورات مخبر الدراسات اللغوي - الجزائر، ع10 لسنة 2018م، ص58.
- (75) نوال عبد الرحمن الشوابكه، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية: حتى نهاية القرن التاسع الهجري، القدس، دار المأمون للنشر، 2008م، ص27، 47.
- (76) حسن الصادقي، الوجود المغربي، في المشرق، ص 291.
- (77) ماتزان، مرجع سابق ص 564.
- (78) طرفة عبد العزيز العبيكان، مرجع سابق ص 143.
- (79) وحيد الدين خان، حقيقة الحج، ترجمة ظفر الإسلام خان، القاهرة، دار الصحوة، 1987، ص7.
- (80) وحيد الدين خان، حقيقة الحج ص7.
- (81) الجبرتي، عجائب الآثار، ج 3 ص 93 - 94.
- (82) العياشي، الرحلة، ج 1 ص440.
- (83) سنوك ، صفحات، ص563.
- (84) سنوك ، المصدر السابق ص 574-575.
- (85) سنوك، نفسه، ص 575.
- (86) سنوك ، صفحات من تاريخ مكة ، ص 576.
- (87) سنوك، صفحات من تاريخ مكة ص 577؛ السباعي ، تاريخ مكة ، ج 2 ص 571؛ السيد حامد القادري ، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي في إندونيسيا، ترجمة زكي صالح، عدن- دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 1998م ، ص 140.
- (88) المعجم الوسيط: مادة (كتب)

(89) جاء في أول تقرير رسمي للحكومة العثمانية عن ولاية الحجاز، والذي صدر في عام 1301هـ الموافق (1883م - 1884م) أنه كان في مكة المكرمة ثلاثة وثلاثون كُتَّاباً بها 1150 طالباً. ويظهر أن هذا العدد أخذ في الازدياد عاماً بعد آخر، ففي عام 1309هـ (1891م - 1892م) جاء في التقرير الرسمي للحكومة العثمانية أن عدد الكتاتيب في مكة المكرمة بلغ 43 كُتَّاباً، وهذا يعكس مدى اهتمام أهالي مكة بتعليم الأبناء. وأكد القنصل البريطاني في جدة في تقريره الذي كتبه عن ولاية الحجاز في عام 1889م / 1306هـ اهتمام أهالي مكة المكرمة بالتعليم، وأن «الكتاتيب» الخاصة التي تقوم بتأسيسها الطبقة المثقفة في هذه المنطقة، تجد إقبالاً شديداً من أبناء مكة وغيرها من المدن في منطقة الحجاز. عبداللطيف بن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، 1997م، ص21.

(90) لموسوعة العربية الميسرة، ج 2 ص 1819.

(91) العيدروس، النور السافر، ص200، وفيه ترجمة محمد الجنجاني مؤسس الكتاب ص 199-200.

(92) كان يوجد في مكة المكرمة من المدارس ما يلي: مدارس الأربعين، مدارس الثلاثة، مدرسة داود باشا أو المدرسة الداودية، مدرسة شمس الدين الذهبي، المدرسة المجيدية، المدرسة المرادية، المدرسة الباسطية، مدرسة دار الشفاء، وحسب ما يظهر أن هذه المدارس بالإضافة إلى تعليم الأولاد مبادئ القراءة والكتابة والنحو والصرف، وغيرها من المعلومات العصرية، كانت مدارس دينية متخصصة، أما المدارس الأخرى على غرار المدارس الحديثة فكانت هناك مدارس الصبيان، والمدارس الإعدادية والمدارس الرشدية، ودار الشفقة وهي خاصة بالأيتام من الأولاد، وقد تمَّ إنشاؤها في الدولة العثمانية عام 1282هـ / 1865م (وكما جاء في سالناتمات ولاية الحجاز كان عدد مدارس الصبيان في مكة المكرمة عام 1301 هو ثلاث وثلاثون مدرسة، أربع منها في سوق الليل، وخمس في القرارة، وثلاث في القشاشية، وخمس في شعب عامر، وواحدة في كل من نقا، والسليمانية، والمسفلة، وأجباد، وأربع في الشبيكة، وثلاث في حارة الباب، وست في الشامية. وكان عدد الطلاب فيها يقدر بألف ومائة وخمسين، وذكرت السالنامة أن أشهر مدارس مكة المكرمة هي السليمانية والداودية، ومدرسة الشهيد محمد باشا والمدرسة المحمودية، كما أفادت أن عدد المدرسين بالمدرسة الرشدية - التي تقابل في عصرنا هذا المدارس الثانوية - في مكة المكرمة عام 1305هـ ثلاثة، وأوردت أسماءهم، وذكرت أن عدد الطلاب فيها كان ستين طالباً. يراجع: حجاز ولايتي سالنامة سي، مكة المكرمة: مطبعة الولاية، 1301هـ ص63.

(93) سليمان القانوني (1495-1566م) : أحد أشهر السلاطين العثمانيين، وحكم لفترة 46 عاماً منذ عام 1520، وبذلك يكون صاحب أطول فترة حكم بين السلاطين العثمانيين. زادت مساحة الدولة العثمانية بآثر من الضعف خلال فترة حكمه ، حيث فتح شمال أفريقيا وفي أوروبا قضي على دولة المجر وفتح قسطنطينية وبلغراد، راجع : بول كوزل - العثمانيون في أوروبا - ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 1993م. ص22-23؛ وعن منجزاته العلمية والحضارية ينظر : محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة ، القاهرة- المركز المصري للدراسات العثمانية 1994م ص96.

(94) مراد بن السلطان بن سليم بن سليمان القانوني هو أحد خلفاء الدولة العثمانية. ولد عام 953هـ وتولى الخلافة عام 982هـ بعد وفاة أبيه، توفي السلطان مراد الثالث بعد إصابته بداء عياء شديد وتوفي 8

جماد الأولى 1003 / 19 يناير 1595 م وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ملكه إحدى و عشرين سنة تقريباً، وعنه يراجع: محمد عبد اللطيف هريدي ، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الاسلامى عن أوروبا ، ط 1، القاهرة ، 1987. ص 95 ؛ سعيد أحمد برجواى : الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى ، ط 1، بيروت ، 1993م، ص 112؛ أكمل الدين إحسان أوغلو وغيره ، تاريخ الدولة العثمانية، اسطنبول- المركز الإسلامى 1996م ج 1 ص 15.

(95) ولد محمد باشا في سنة 912هـ وقتل في العشرين من شعبان من عام 987 غيلة، عن 75 سنة، الصدر الأعظم محمد باشا صُقللي، وقد خدم ثلاثة سلاطين: سليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث، وبقي في منصب الصدر الأعظم مدة 14 سنة، وكان من كبار رجال الدولة العثمانية في زمانه، وقام صقللي باشا في سنة 977 بإرسال حملة عسكرية ضمت الحجاز واليمن للسلطنة العثمانية، وكان هذا أمراً في غاية الأهمية لمواجهة الأساطيل البرتغالية التي كانت تبحر من مستعمراتها في الهند، وتجوب البحر الأحمر وبحر العرب بغرض الاستيلاء على بعض الموانئ لتأمين تجارتها مع الهند ومالقة، وهاجمت جدة لأهداف دينية وهددت في فترة سابقة باحتلال الحجاز، وكان من مشاريع صقللي باشا التي ماتت بعد خطوة من مسيرها شق قناة تصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بهدف قمع البرتغاليين ومهاجمة الصفويين من خليج فارس. ينظر: يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق محمود الأنصاري ، تركيا- مؤسسة فصل للتمويل، 1998م . ص 431

(96) ولد السلطان العثماني محمود الثاني ابن السلطان عبد الحميد الأول في 20 يوليو 1785، وتولى السلطنة العثمانية في 1808، وكان عمره 24 عاماً كان معروفاً بحبه للأدب والثقافة والفنون وكان يكتب الشعر و متميزاً في الخط العربي بأنواعه حتى عرف باسم السلطان الخطاط. وشهد عصره خطوات إصلاح واسعة وحاول إعادة الدولة العثمانية لسابق عهدها وتصدى لنفوذ الانكشارية مقتدياً بما فعله محمد على بالمماليك في مصر وأمكنه التخلص منهم في 1826، والتفت لإصلاح الجيش وتحديثه على غرار النظم الحديثة مستعيناً بالأوروبيين، وأنشأ العديد من المدارس الحربية وأخذ بنظام التجنيد الإجباري وأرسل الضباط في بعثات للخارج وأصلح البحرية وأعاد فتح مدرستها وأنشأ عدداً من الترسانات البحرية وتوسع في إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية. واعتنى بمدارس تعليم اللغات وأرسل البعثات العلمية إلى أوروبا وعنى بإصلاح أجهزة الدولة المركزية وأجرى إحصاء للأراضي الزراعية التركية وأدخل تحسينات على شبكة المواصلات وأنشأ طرقاً جديدة وخطوطاً للسكك الحديدية وتوسع في حركة التعمير وصيانة المرافق القديمة التي أصابها الإهمال، لكنه دخل مع محمد على في مواجهة حين أراد ضم بلاد الشام إلى ولايته في مصر إلى أن أصيب بعدوى السل ثم توفي في 2 يوليو 1893 وتولى السلطنة خلفاً له السلطان عبدالمجيد ، محمد عبداللطيف البجراوي، حركة الإصلاح العثماني، القاهرة - دار التراث، 1978 م، ص 122.

(97) المدرسة الداودية التي كانت ضمن أوقاف داود باشا في منطقة الحرم الشريف وهي في الجهة الغربية من الحرم المكي دون باب العمرة، ولم تعد موجودة الآن، إذ تمت إزالتها خلال التوسعة السعودية الأولى للحرم المكي، وهي مسجلة في وثيقة داود باشا ضمن حجج الأمراء والسلاطين الموجودة بدار الوثائق القومية بالقاهرة. : بئر الداودية.. تثير خلافاً بين الملكيين والمؤرخين، مقال بصحيفة مكة ، عدد الخميس 22 ربيع الأول 1435 - 23 يناير 2014.

- (98) أنشئت المدرسة الرشيدية عام 1302هـ في سوق المعلا، ولقد اعتمد اللغة التركية للتدريس فيها بجانب اللغة العربية. عنها يراجع: خلوصي ياوز: دراسة حول العلاقات العثمانية الحجازية في القرن السادس عشر الميلادي، «مجلة الحضارة الإسلامية» (التركية) ع2، مج4 (تشرين الثاني 1979م) ص 66 - 80 .
- (99) خليل ساحلي أغلو: مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة إستانبول (مصادر تاريخ الجزيرة العربية: ج 2)، الرياض: جامعة الرياض: كلية الآداب، 97 - 1398هـ ص 154-155. ؛ سنوك، صفحات، ص 851 - 583، جولدن صاري، يلدز، الحجر الصحي في الحجاز 1865 - 1914م، ترجمة عبد الرازق بركات، الرياض، 2001م ص 95 - 96.
- (100) هند أبو الشعر، الحياة الثقافية والتعليم في ولاية الحجاز في العهد الشريف من 1800م - 1918م «المدارس المكتبات، الزوايا الصوفية، المطابع، ودور النشر، مجلة جامعة مؤته مجلد 2 ع 1 نيسان 1930م، ص 90، ص 100، وينظر: موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، لندن، مؤسسة الفرقان، 2012م المجلد الأول ص 499؛
- (101) هند أبو الشعر، الحياة الثقافية، ص 100، القبلة العدد 105، الأثنين 2 من ذي القعدة 1335هـ / 20 / 8 / 1917م، ص3؛ عبدالله، عبد الرحمن صالح عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، جدة، دار الشرق 1982م، ص78.
- (102) هند أبو الشعر، نفسه، ص 100؛ صديق آمال رمضان، الحياة العلمية في مكة المكرمة (1110 - 1334هـ - 1703 - 1916م) مكة - مركز تاريخ مكة، 2011م مجلد1، ص 370.
- (103) صابان، سهيل محمد، نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، تقديم وترجمة وتعليق، صابان، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز، ص 189 - 198؛
- (104) مرداد، عبدالله، المختصر من كتاب نثر النور ص45.
- (105) طاشكندني، عباس صالح، خزائن الكتب الخاصة في بلاد الحرمين من العهد النبوي الشريف حتى الوقت الحاضر، جدة، شركة الفرقان، 2019م، ص48.
- (106) قبل ظهور الأربطة بمكة المكرمة كانت هناك ما يسمى بالدور والرباع وتقوم بدور الرباط الى حدما، ومن اشهر الدور والرباع:-1ربيع آل أبي العاص بن أمية -2رباع بني نوفل بن عبد مناف عند العلم الاخضر بالمسعى -3ربيع آل دواد بن الحضرمي -4رباع بني عامر بن لؤي -5دار سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه-6دار العباس رضي الله عنه -7دار الأرقم بن ابي الأرقم -8دار العجلة، وفي عام 312هـ ظهر في مكة المكرمة ولأول مرة أسم جديد يعرف بالرباط (رباط السدرة ويقع بين باب السلام وباب النبي صلى الله عليه وسلم). حسين شافعي، الأربطة، ص 42؛ حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة 1981م، ص122؛ كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامي، القاهرة 1991م، ص 26؛ خالد عذب: الأربطة من منشآت رعاية المرأة في الحضارة الإسلامية، الإسلام على الإنترنت، 30 نوفمبر 2000م
- (107) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية ص 195 - 197 .
- (108) حمد الجاسر، الآثار الإسلامية في مكة المشرفة، محاضرة في (جامعة أم القرى) بمكة بعد مغرب ليلة الأربعاء 13 جمادى الآخرة سنة 1402هـ ثم نشرها كبحث في مجلة العرب (س 17 ج 4-3).

(109) ذكر أحد المتخصصين في هذا الصدد أن العدد الإجمالي لأربطة مكة المكرمة في هذا العصر ، و البالغ مائة وسبعة وخمسين رباطاً ، المعروف تاريخ وقفها مائة وسبعة عشر رباطاً، والباقي منها لم يعرف تاريخ وقفها بالضبط ، ولم تذكر المصادر تاريخها. وهذا يعني أن نسبة الأربطة المؤرخة %74.52 وهي أعلى نسبة الأربطة غير المؤرخة والتي بلغت %25.47 . حسين الشافعي، الأربطة في مكة المكرمة في العصر العثماني، ص 182.

(110) فوزية مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام، دمشق، دار سعد الدين، 2015م، ص382.

(111) وزعت الأربطة الموقوفة بمكة المكرمة خلال العهد العثماني من حيث مناصب ووظائف الواقفين إلى عشر مجموعات كالتالي: المجموعة الأولى : السلاطين ومن حولهم وقد بلغ عدد الأربطة التي أوقفوها أربعة أربطة ، أي ما نسبته %2.54. المجموعة الثانية : أمراء مكة ومن حولهم وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها خمسة أربطة أي %3.18. المجموعة الثالثة : ولاة الأمصار التابعة للدولة العثمانية وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها أربعة أربطة %2.54. المجموعة الرابعة أمراء الهند وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها أربعة أربطة %2.54. المجموعة الخامسة : العلماء والصالحين، وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها اثني عشر رباطا %7.64. المجموعة السادسة شيوخ وأعيان القوم وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها سبعة أربطة %4.045. المجموعة السابعة كبار مناصب الدولة العثمانية مثل قاضي العسكر وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها رباطا واحدا %0.63. المجموعة الثامنة التجار المكيون أوقفوا ثلاثة أربطة أي ما نسبته %1.91، المجموعة التاسعة المحسنين وفاعلي الخير من عامة الناس ، وقد بلغ عدد الأربطة التي أوقفوها سبعين رباطاً أي نسبة %44.58. المجموعة العاشرة: غير معروف كل اسماء واقفها بالضبط وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها ثمانية وأربعين رباطا بنسبة %30.57. حسين الشافعي، الأربطة في مكة في العصر العثماني، ص 183.

(112) فوزية مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص382.

(113) حسين الشافعي، الأربطة في مكة في العصر العثماني، ص 183.